رأي اميركي في الحرب

رد على منشور علماء الالمان

(تابع ما قبلهُ)

وجاء في منشوركم « ان ما يُزعم من اعتدائنا على حياد البلجيك ليس بصحيح » . فهل قرأ هؤلاء الثلاثة والتسعون عالماً منشورهم بانعام وروية قبلما وقعوهُ ؟ هل تقدر عقول مثقفة افضل تثقيف ان تصرح مختارةً تصريحاً غير صحيح كهذا ؟ وهل يطّلع اهل المانيا على الوقائع والحقائق التي تبلغ سائر العالم ؟ الم يقرأ احد من هؤلاء العلماء ما قالهُ نائب الامبراطور فون بتمان هولفج في الريخستاغ بتاريخ ٤ اغسطس اذ قال « اضطررنا الى ان نخرق حياد لكسمبرج والبلجيك وقد احتلت جنودنا البلاد الاولى ولعلها الآن ضمن حدود الثانية . ايها السادة ان هذا خرق للقوانين الدولية . نعم ان الحكومة الفرنساوية صرحت باحترام حياد البلجيك بشرط ان يراعيهُ خصومها ايضاً على ان فرنسا كان في استطاعتها الانتظار اما نحن فلم نستطع . واقول بصراحة اننا بعد ما نبلغ غايتنا الحربية نسعى وسعنا لاصلاح الخطإ الذي نحن آخذون في ارتكابهِ »

ثم هل اطّلع احدكم على الحقيقة الثابتة وهي ان نائب امبراطوركم قد سعى بنفسهِ الى اكتساب مرضاة الاميركيين ببيان نشرتهُ صحف اميركا بتاريخ ١٥ اغسطس اعترف فيهِ ثانيةً بما جنيتموهُ على البلجيك وهو كما يلي « ارغمتنا الضرورة على خرق حياد البلجيك ولكننا وعدنا وعداً اكيداً بان نعوض تلك البلاد عن كل اصابها من التلف »

بماذا يوحي ضمير الالمانيين الصالح عند ما يعلم فحوى هذا الاعتراف الذي اعترفهُ نائب امبراطورهم ؟ وما هي الضرورة التي يقصدها ؟ ومن الذي كان يفكر في اقتحام بلادكم لو لم يسير امبراطوركم جيوشهُ لاجتياز حدود جيرانكم المخلدين الى السكينة والسلم . وماذا يعني بقولهِ « الخطاء الذي نحن آخذون في ارتكابهِ » ايقصد بهِ تخريب بلاد آمنة لم تؤذكم وذبح ابنائها ونفي ملكها وحكومتها ودك مدنها بما فيها من البيوت الآهلة والآثار التاريخية الكريمة واعمال النوابغ النفيسة ؟

« الخطاء الذي نحن آخذون في ارتكابهِ » ايعني بذلك ما هو انكد واسر مما تقدم اي

إعمال عساكركم السيوف في البلجيكيين غير مبقين على كبير ولا صغير ولا امرأة وذلك لان البلجيكيين المنكودي الحظ فقدوا صوابهم وتولاهم اليأس والقنوط لما رأوا ابناءهم يُذبحون ومنازلهم تلتهمها النار فاخذوا يطلقون بنادقهم من النوافذ على عساكركم ! الخطاء الخطاء ! نعم لماذا تنكرونهُ ايها العلماء وحكومتكم تعترف بهِ اعترافاً رسمياً مخجلاً ؟ بربك ايها الاستاذ شابر اذا عُكست هذه الاحوال واجتاحت جنود الحلفاء شوارع برلين ألا تبري انت وكل زملائك العلماء عند ما ترون منازلكم تدمر واولادكم يتضرجون بدمائهم وتطلقون الرصاص على المتدين القساة ؟ اما انا فان وقع لي مثل هذا فاني افعل كذلك بلا شك . عند ما أُرسلت جنودنا الاميركية حديثاً الى المكسيك ليس لنزوها وبحاربتها بل لتثبيت دعائم الامن واعادة النظام والقانون الى بحاريها اطلق عليهم بعض اهالي قيره كروز الرصاص من نوافذ منازلهم وقتلوا عشرين منهم فاطلقت الجنود الرصاص عليهم ولكن لم تدمر المدينة ولم تقتل الابرياء . واسرت بعض المتدين طيها فلم تعدمهم بل وبختهم واوصتهم بحسن السلوك واخلت سبيلهم . اكاد اتمنى لو كان لاميركا قدرة ومشيئة فتقصد فرنسا والبلجيك وتكبح جماح اولئك الغزاة الاشرار وتعيد الامن الى نصابهِ والنظام والسلطة والقانون الى مجاريها

ولا بد ان ينظم ابناء هذا العالم يوماً من الايام سلطة كهذه حتى اذا قامت امة تعدُّ موتاً وجهنماً حمراء لجميع بني البشر كما فعلت امتكم في اثناء الخمسة والعشرين عاماً الاخيرة عُدَّت عدوة عمومية لبني البشر . على ان الغلاظة التي دفعت حملتنا على المكسيك تظهر رقة ولطفاً اذا قوبلت بالفظائع الوحشية التي تأتيها جنودكم في البلادين الموما اليهما

بربك ايها الاستاذ العزيز اذا كانت المانيا بريئة مما يتهمها العالم بهِ فما شأن جنودكم في البلجيك وفرنسا ؟ فلو تربصتم حتى تهاجموا لما اشتبكت امتكم بحرب قط . قال نائب امبراطوركم انكم خرقتم حرمة القوانين الدولية وانكم ستحاولون على قدر طاقتكم ان تصلحوا الخطأ الذي انتم آخذون في ارتكابهِ . إي ايها الاستاذ شابر ان الذهب الذي تستطيعون اعطاءهُ لفرنسا والبلجيك في اثناء الف سنة وصلوات التوبة والندم التي تقدمونها بحزن وقلوب منكسرة في كل ساعة من الالف سنة لا تصلح ما جررتموهُ على تينك الامتين بالذبح والنار والخراب والدمار ولا تجفف اوقيانوس الدموع الذي اسالتهُ غزواتكم العظيمة . يسألنا بعض الناس احياناً هل تفضلون العنصر السلافي على العنصر الالماني . والجواب على

ذلك واحد مطرد « نعم » . بعد ما رأينا الحرب الالمانية تفضل العنصر السلافي بل التركي بل الهوتنتوت

تذكرون في منشوركم انكم لم تلحقوا ضرًّا بمال فردٍ واحد من اهل البلجيك او حياته الاَّ مرغمين بضرورة الدفاع عن النفس وان عساكركم لم تعتدِ على لوڤان . فالحكم في هذه المسألة يجب ان يبنى على الحقائق وهذه الحقائق مشهورة لا تحتاج الى تبيان . على انني اورد شاهداً واحداً لتأييد هذه التهمة وهو قول امبراطوركم الذي قال « ان الدمار والاضرار التي الحقتها جيوشنا بالحياة والاموال في لوڤان نجمت عن الضرورة الملجئة وان قلبي يقطر دماً من اجل لوڤان »

وتنكرون ايضاً ارتكاب جنودكم للفظائع والموبقات فاليكم ما كتبتهُ احدى ممرضاتنا المتطوعات بجمعية الصليب الاحمر في البلجيك قالت . « ان بين المصابين الذين تمرضهم صبيًّا شجاعاً اطلق الرصاص من نافذة منزلهِ على الجنود التي كانت تسلب بلادهُ فكان جزاؤهُ ان الالمان قطعوا يديهِ بلا شفقة ولا حنان . الم يذبح جنودكم شيخ بلدة ترموند لانهُ دافع عن شرف ابنتهِ عند ما اراد احد الضباط اقترافها وهو نازل في بيت ابيها ؟ وقد بلغتني حكاية اخرى من صديق في بروكسل اضطر الى الفرار الى نانت قال ان جنودكم اطلقوا الرصاص على صراف البنك الاهلي ولديهِ لانهُ ابى ان يبوح بسر فتح خزائن البنك . وهنالك حكايات كثيرة كهذه شائعة لا ريب في صحتها . وماذا يفيد انكارها ولدينا منها حوادث اجمالية مما وقع في لوڤان رالويست وترموند . ان الحرب ذاتها في نظر ابناء امتي فظيعة والامة التي تضرم نارها تعد لديهم مجرمة كالمحرض على القتل في نظر قانون الجنايات . نظر الناس الى امبراطوركم نظرة الاعجاب وعدوهُ من اعظم رجال العالم ولكن ما هو الاسم الذي سيتركهُ للخلف ؟ بالعار ! انهُ قد طعن الانسانية في اعماق نفسها باضرامهِ نار هذه الحرب وروى ارض اوربا بدماء بني الانسان . وسيكون سكان اوربا ارامل ناتحات وثكالى ناديات وايامى وايتام ومجزة ورجال مبتوري الاذرع والسيقان . انهُ سيورث ذريتهُ الكراهة والاحقاد والضغائن !

وتختمون منشوركم بالمدافعة عن السلطة العسكرية الالمانية وهذا يعود بنا الى السؤال كيف ابتدأت الحرب . لا يستطيع ذو عقل سليم ان يرتاب في ان مسؤولية هذه الحرب المشؤومة على عاتق المانيا لانها شجعت النمسا على مهاجمة الصرب وهي تعلم ان النتيجة تكون حرباً اوربية . فالنمسا ليست سوى امبراطورية على شفا الاضمحلال مشدودة الاطراف بحبل واهن غير قادرة على تمثيل عناصرها المتباينة ليكون لها جامعة جنسية واحدة كما هي

الحال عندنا في اميركا والسبب في ذلك ان حكومتها ليست على اساس متين من العدل والمساواة ولا يتسنى لها ان تأتي عملاً متقناً من تلقاء نفسها خيراً كان او شرًّا وذلك يرجع الى علل واسباب . ولما كان الشيء بالشيء يذكر اقول ان اشارتكم الى السلطة العسكرية الالمانية تذكرنا بقول القائلين ان هذه الحرب ابتدأت كامنة منذ خمسة وعشرين عاماً اي عند ما ارتقى الامبراطور وليم الثاني عرش المانيا وصرح انهُ رب الحرب الاعظم وشرع يهيئ امتهُ للحرب وغرس في اذهانها منذ نعومة اظفارهم الاميال العسكرية والنظر الى مستقبل مصبوغ بالدماء . ونحن في اميركا نعرف صورة ابتهِ من بذلة الكولونيل (ميرآلاي) التي تؤتديها . ومثلما نشأ اذهانهُ نشأت ابناء امبراطور يتهِ . والخدمة العسكرية الالزامية جعلت كل الماني جنديًّا . ولما كنت انا في المانيا تحققت افتقار البلاد الى المدوء والسكينة فان الشوارع كانت غاصة بالجنود على الدوام ولا يقع النظر الأعلى لمعان الخوذ ولا يسمع الأصليل السيوف وصهيل الجياد ووقع حوافرها . ان هذه الاضواء والجلبة والمعدات الحربية قد افسدت افكار الشعب الالماني وغرست فيهِ الميل الى الحرب

والرجل الذي يرتدي بذلة القيصر (البذلة العسكرية) يعد من طبقة ممتازة فقد تشاجر مرة ضابط مترنح سكراً وخادم احدى المحلات العمومية فطعن الضابط الخادم في قلبهِ وكانت البذلة العسكرية خير شفيع مبرر للضابط من هذه الجناية العظيمة . واتفق ان اسكافاً في بلدة اجتاحها الالمان تافَّظ بعبارات يشتمُ منها القدح في جنود الامبراطور فمزقهُ احد الضباط بسيفهِ تمزيقاً وكان جزاء هذا التهجم الفظيع المقرون بالجبن والنذالة الثناء العاطر من ولي عهد المانيا . واراد احد افراد العامة ان يقترب من صديق كان يعرفهُ قبلما يرتدي بذلة الضباط ليحييهُ كالمعتاد فعدَّ الضابط ذلك وقاحةً واعتداء من صديقهِ فقتلهُ وكتب الى والدة القتيل يبرر عملهُ لديها . وقد رأيت انا ضباطاً من الالمان يدفعون سيدات مرهفات بغلظة من طريقهم وسمعت بعضهم يشوق بلهفة الى اليوم الذي يتاح لهُ فيهِ خوض غمار الحرب

في كل يوم من كل سنة من الخمسة والعشرين عاماً كان الامبراطور يذكي صدور الجمهور شوقاً الى هذه الحرب بخطبهِ الحماسية وكان نصيب الذين يقترحون وسائل فعالة لحفظ الامن وتأييد السلام الهزء والازدراء . ولما رزحت طبقات الفقراء في العالم تحت عبء الضرائب التي كانت تجبى استعداداً للحرب (فقد كان يُنفَق في هذا السبيل ٧٥ في المئة من دخل جميع الحكومات) اقترحت الحكومة الانكليزية ايقاف زيادة التسلح عاماً واحداً وكان

جواب الامبراطور على هذا الاقتراح انهُ اضاف الى الاسطول اربع بوارج والى الجيش البري ثلثمائة الف جندي والجأ فرنسا الى جعل مدة الخدمة العسكرية ثلاث سنوات بدلاً من سنتين

من اقوال جنرالكم فون برنهردي ان محاولة تأييد السلم آفة عظيمة للصحة العمومية وقد غرس العلماء والاساتذة في كلياتكم وجامعاتكم في عقول الناشئة المبدأ القائل ان الحرب ضرورية لا بد منها . ان روح الوطنية في المانيا قد جنحت عن القواعد الذهبية التي فعلماها من فيلسوفكم العظيم «كانت» وتشربت بمذهب نيتشه المادي الحيواني وبمبدإ الجنرال فون برنهردي المقرون بالتعطش الى سفك الدماء وباحلام تريتشكي الحربية الشيطانية وبآداب فون بيلوف المرذولة . وفي كل صغيرة وكبيرة من الحقائق التي نستطيع جمعها سواء كانت تتعلق بامبراطوركم او بانجالهِ او بجنودهِ او بساسة حكومتهِ او باساتذتهِ نرى جلياً ان المانيا تنظر الى نفسها كأمة منفصلة عن سائر الامم وامى منها وانهُ حتم عليها ان تحافظ على هذا الترفع ولو بالحرب

ومما يخالف روح هذه الوطنية العقيمة المهلكة ما تفعلهُ ونعمل بهِ في اميركا من تفضيل الانسانية على الجنسية فاننا نكرم جميع العناصر وبلادنا ترحب بهم وتفسح لهم صدرها

اسمح لي ايها العزيز الاستاذ شابر ان اقول في هذا المقام ان رجال الحكومة الالمانية قد تشربوا مبدأً مضللاً هو سبب ويلات هذه الحرب الالمانية . ان قوانينكم العسكرية قد رسخت في قلوب ابناء امتكم الاعتقاد بان الراية الالمانية يجب ان تلازم الالمانيين في مهاجرهم ويظهر أن القصد من ذلك هو التملك والاستعمار . ثم ان امبراطوركم يقول لرعيتهِ ان المانيا فوق كل شيء . أليس نشيدكم الوطني بهذا المعنى يتعلمهُ اطفالكم ويرضعونهُ مع اللبن فيعتقدون انهم فوق كل البشر . قلت ان في الولايات المتحدة ثمانية ملايين نفس من الالمانيين فهؤلاء ليسوا في حاجة الى الراية الالمانية لتحقق فوق رؤوسهم وتضمن لهم سعادتهم وهناءهم وفي كندا والبرازيل والارجنتين وغيرها من بلدان العمور الوف غيرهم وهم في امان ورغد وهناء من غير ان تظللهم الراية الالمانية . وعند ما يهاجر الاميركيون الى بلاد اخرى ويتخذونها موطناً لهم لا يحملون رايتنا معهم . أليس من الهزء والسخرية ان تحافظوا على المبدإ الموما اليهِ اي ان الالمان يجب ان يعيشوا تحت الراية الالمانية اينما ساروا وحلوا ! أليس اساس هذه الفظائع الشائنة هو الحلم الوحشي بسيادة العنصر الالماني على العالم ؟ وحبذا يوم نرى

فيهِ الانسانية فوق الجنسية ونشاهد الحكومة او الدولة التي تخالف هذا المبدأ يُحكم عليها بالتلاشي والاضمحلال

ثم ان الطبقة العسكرية تذيع آراء تقصد بها اقناع الامة الالمانية انها لا تقدر ان تقلد الانكليز والاميركان في ما يسمونهُ الحكم الذاتي فقد قال جنرالكم فون برنهردي ليس هنالك شعب كالشعب الالماني غير كفوء لحكمهِ نفسهُ بنفسهِ . واني لاعجب كيف تكون العلاقات بين الشعب الالماني وحكومتهِ بعد هذه الحرب

ان احلامكم الحربية والهيأة العسكرية الالمانية والطموح الى تسويد العنصر الالماني والسياسة الكاذبة والافراط في التسلح وتأييد الحكومة المطلقة والزعم بان المانيا فوق البشر وميل حكامكم العسكريين الى القتل ورغبتهم الشديدة في اتلاف كل ما من شأنهِ الدلالة على تقدم بني البشر وارتقائهم كل هذه امور حملت العالم على الخوف والتحذر منكم ونفوسكم التي لا تعرف الشبع قد اذعرتنا جميعاً . ان مركز رئاستكم الحربي قد وضع خطة الهجوم على اميركا ايضاً فاذا انتصرتم على الامبراطورية البريطانية أفلا يأتي دورنا ؟

واقول اخيراً ايها العزيز الاستاذ شابر اننا ليدهشنا ويخجلنا ويكدرنا ان تكون دولة مسيحية السبب في اضرام هذه الحرب الجنائية . وعند ما اقول اننا نكرهُ هذه الحرب وثقت السلطة العسكرية الالمانية انطق بآراء السواد الاعظم من الشعب الاميركي ومئات الالوف من الالمان الاميركيين . ولسنا نرى اقل تبرير لهذا العمل فان المانيا بما لديها من المعدات الحربية ووسائل الدفاع في مأمن من شر العالم باجمعهِ . فاي دولة كانت تجرأ على اجتياز حدودكم . ان الامة الالمانية وان كانت لا يزال ينقصها تثقيف وتربية اقناها بجيرانها قد بلغت شأواً رفيعاً من الرقي العقلي الذي كان يجب ان يرفع شعبها الى ما هو اسمى وافضل لهُ ولغيرهِ من الشعوب . فسفن امتكم العظيمة كانت تمخر في كل بحر ومتاجركم تباع في كل صقع وكنتم متمتعين بكل نعم الانسانية لان الامم كانت تثق بكم كدولة تراعي حقوق غيرها اما الآن فقد فقدتم هذه المزايا واضعتم ثقة الناس بكم وهيهات ان يشفي لكم ان تعيدوا ما فقدتموهُ ادبيًّا وماديًّا ولو بعد خمسين سنة . وحبذا يوم نرى فيهِ دولة المانية جديرة باحترامنا محبة للسلم الحقيقي والتقدم الصحيح والتربية القويمة دولة المانية تتوخى الاعتدال وتنبذ التشامخ والتجرر من اسيادها الحربيين وجيوشها الشاكية السلاح . حبذا يوم تعود فيهِ الى التعاليم السامية الرفيعة تعاليم نوابكم العظام لوثيروس وغوته وبيتهوفن وكانت . على ان المانيا سواء انتصرت او انكسرت في هذه الحرب قد سقطت وتلك الامة التي بلغت اسمى درجات

المجد متواصل سيرها في ظلام القظائع والمذابح الى ان يلهمها ضميرها فتسترد جيوشها الى بلادها وتنتظر عفو العالم وصفحهُ عن هذه الزلة العظيمة

اظنكم لا تؤاخذونني اذا اقترحت عليكم ان ينهض الثلاثة والتسعون عالمًا الذين وقعوا هذا المنشور ويبذلوا كلما في طاقتهم ليؤثروا في ضمائر امتهم لتوقف هذه الحرب وتسترجع جنودها وتطلب الصلح على شروط تعترف بها بالزلات التي اقر بها امبراطوركم ونائبهُ وبذلك تخدمون الانسانية خدمة تفوق جميع الفضائل

لا ريب انهُ سينجم من هذه الحرب الشريرة كثير من الخيرات والبركات واحسن ما ينجم عنها تأييد السلام . انا عضو في كل الجمعيات الساعية الى تأييد السلام وقد رأيت رجال السلم يبثون آراءهم خافتي الصوت ويسيرون بحذر يتوارون من نظر رجال الحرب . اما من الآن فصاعدًا فسيسود السلام في العالم ويؤيد الشرائع والقوانين ويسعى باقدامهِ الذين يحاولون انشاء امبراطوريات عظيمة على جثث العمال الفقراء والفلاحين البسطاء وعندئذٍ تصبح الانسانية اسمى من كل شيء آخر

اود قبل ختام ردي هذا على منشوركم ان اعبر لكم عن مشاركتي الشعب الالماني في شعوره واني البس معهُ الحداد على الشجعان الامناء الذين ذهبوا ضحايا المطامع الدولية في الدم والسلب وانتحب مع النساء الامينات اللاتي كسرت قلوبهنَّ واصبحنَ بلا سند ولا معين وارثي لحالة الاولاد المساكين (وهم نحو مليون او اكثر) الذين سيشبون محرومين من محبة الوالد وعنايتهِ واود لو تسنى لي ان افول او افعل شيئًا يساعد على تخفيف احزان الامة الالمانية ولكن ليس في طاقة بني البشر طرًّا ان يخففوا عبئًا ثقيلاً كهذا

واختم اسطري هذه بالشكر الجزيل على كتابكم واقدم تحياتي الخالصة للزملاء الكرام الذين وقعوا المنشور الآنف الذكر راجيًا من صميم الفؤاد ان يعود السلام الدائم الى هذا العالم المضطرم بنار الحروب وتأهبوا انني باقٍ على وداكم واقبلوا فائق احترامي ودمتم

المخلص الامين

ص . هـ . تشرنش

انتهت ترجمة هذه الرسالة بقليل من التصرف

سليم الخوري